تفسير كلّ آية بجملة

﴿٤٩﴾- يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اذكروا مِن نِعَمِنا عليكم أن نجّيناكم من ظلم فرعون وأعوانه الذين كانوا يذيقونكم أشدّ أنواع العذاب، فهم يذبحون الذّكور من أولادكم لخوفهم من أن يكون منهم من يذهب بمُلك فرعون ويبقون على الإناث ليستخدموهنّ، وفي هذا العذاب اختبار عظيم من ربّكم.

﴿٥٠﴾- واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر- وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - فتتخلّصوا من ملاحقة فرعون وجنوده، وبفضلنا نجَوْتم، وانتقمنا لكم من عدوّكم، فأغرقناهم أمام أبصاركم في البحر الذي انطبق عليهم عقب خروجكم منه.

﴿٥١﴾- واذكروا حين واعد ربّكم موسى عليه السلام أربعين ليلةً لمناجاته، فلمّا ذهب إلى ميعاده وعاد، وجدكم قد انحرفتم واتّخذتم العجل الذي صنعه السّامريّ معبودًا لكم، فكنتم ظالمين باتّخاذكم العجل شريكًا لله الذي خلقكم ونجّاكم.

﴿٥٢﴾- ثمّ عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم من إثمكم، لعلّكم تشكرون ربّكم على صفحه وعفوه وفضله.

﴿٥٣﴾- واذكروا نعمتنا عليكم إذ أنزلنا على نبيّكم موسى عليه السلام كتابنا التّوراة، وهو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، ويميّز الحلال من الحرام، لكي تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضّلال بتدبّر ما فيها.

﴿٥٤﴾- واذكروا يوم قال لكم موسى عليه السلام : يا قومي، لقد ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم عجل السّامريّ معبودًا، فتوبوا إلى ربّكم الّذي خلقكم من العدم، بأن تغضبوا على أنفسكم الشّرّيرة وتذلّوها، فأعانكم الله على ذلك فكان ذلك خيرًا لكم عند خالقكم، فقَبِل توبتكم وعفا عنكم، فالله كثير التّوبة على عباده، واسع الرّحمة بهم.

﴿٥٥﴾- واذكروا يا بني إسرائيل قولكم لموسى: إنّنا لن نقرّ لك بالإيمان حتّى نرى الله جهارًا عيانًا بحاسّة البصر لا يحجبه عنّا شيء، فانقضّت عليكم صاعقة ونار من السّماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم، وأنتم تنظرون حالكم أثر الصّاعقة، وما أصابكم من بلاء وعذاب.

﴿٥٦﴾- ثمّ أحييناكم بعد الموت وأيقظناكم من همودكم، وعلّمناكم كي تشكروا نعمتنا في ذلك، وتؤدّوا حقّ الله عن طريق هذا الشّكر.

﴿٥٧﴾- ومن فضلنا عليكم أنّنا جعلنا السحاب لكم كالظلّة ليصونكم من الحرّ الشّديد، وأنزلنا عليكم المنَّ، وهو مادّة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشّجر من طلوع الشّمس، كما أنزلنا عليكم السّلوى وهو الطّائر المعروف بالسّماني، فهو يأتيكم بأسرابه بكرة وعشيًّا لتأكلوا وتتمتّعوا، وقلنا لكم: كلوا من طيّبات رزقنا. فكفرتم بالنّعمة، ولم يكن ذلك بضارّنا، ولكنّكم ظلمتم أنفسكم لأنّ ضرر العصيان واقع عليكم.

الآيات من 49 - 54

نِعم الله تعالى العشر على بني اسرائيل

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

يذكر تعالى في هذه الآيات ويفصّل النّعم العشر التي أنعم بها على بني إسرائيل بعد الابتلاء الذي نزل بهم، وذلك بعد الإشارة إليها إجمالًا في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ تذكيرًا لهم بضرورة شكرها.

المدرسة الأبويّة: مدرسة سيّدنا آدم عليه السلام التي تتلقى علومها من الرحمن. أمّا المدرسة الأنويّة - مدرسة "الأنا" مدرسة الشيطان ومن تبعهم، وعلى رأسهم الدجّال. فاليهود أتباع المدرسة الأنويّة، الممجّدة حاليًا في العالم. فالأنانيّة واتّباع الهوى يتعارضان تمامًا مع المصلحة العامّة؛ إذ إنّ الأنانيّة تهدم المجتمع وتفكّك العائلة، لأنّ الزواج قائم على التضحية والإيثار المتبادل فالزواج عطاء، عندما تُعطي تُفد.

يذكر تعالى في هذه الآيات كيف تأسّست المدرسة الأنويّة، وكيف سيعود سطو دولتها في آخر الزّمان، وهو ما نشهده اليوم في العالم؛ لذا ذكر تعالى أكثر من مائة آية في سورة البقرة تبيّن لنا عيوب المدرسة الأنويّة اليهوديّة التي سيتّبعها المسلمون وللأسف من حيث لا يشعرون، لذا عند قراءتنا الفاتحة يوميًّا في كلّ صلاة ندعو الله تعالى أن يجنّبنا طريق المغضوب عليهم. فالكلام الموجّه في هذه الآيات لبني إسرائيل والمقصود فيه أمّة محمّد ﷺ.

المعنى العام

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

القصّة: يُذكر أنّ فرعون كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلّا بيوت بني إسرائيل؛ فكان تأويلها أنّ زوال ملكه يكون على يديّ رجل من بني إسرائيل، ويقال: بعد أن تحدّث سُمّاره عنده بأنّ بني إسرائيل يتوقّعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة، أمر فرعون بقتل كلّ ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل وتولّيهم مشاقّ الأعمال وأرذلها، ففُسِّر العذاب في الآية بذبح الأبناء واستبقاء البنات. وفي سورة «إبراهيم» عطف عليه كما قال سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، وسيأتي تفسير ذلك في سورة «القصص» إن شاء الله تعالى.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا﴾ أي نعمة أخرى أنعمت بها على أسلافكم وأنتم عالمون بها، وذلك حين أنجيناكم من عذاب فرعون ورهطه، يولونكم أقبح العذاب وأشنعه، فيستعبدون رجالكم ونساءكم في مشاقّ الخدمة والمهنة، وذلك بسبب ما أخبره الكهّان - القصّة - وفي ذلكم محنة من ربّكم وابتلاء عظيم، أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك، وأصل البلاء الاختبار، وقد يكون بالخير والشّرّ؟ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1]. ومعنى البلاء هنا أي الشّرّ الذي كنتم فيه، ثمّ كشف البلاء عنكم وأورثكم الأرض وابتلاكم بالنّعم. وهذا أشبه بقصة الأقرع والأبرص والأعمى الواردة في فقرة السيرة والشمائل، حيث كشف الله تعالى عنهم البلاء ثمّ ابتلاهم بالنّعم. فاذكروا هذه النّعمة، وتحصّنوا بالإيمان بمحمّد ﷺ من محنة أخرى.

قوله تعالى: ﴿وإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وَرَدَ في موضعٍ آخرَ ب ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾، وهناك فرق كبير بين كلمة "نَجّى" وكلمة "أَنْجى"، فكلمة نَجّى تكون وقتَ نزولِ العذاب، وكلمةُ أَنْجى تمنع عنهم العذابَ، الأولى للتّخليص من العذاب والثّانية لإبعاده نهائيًا، ففضلُ الله عليهم كان على مرحلتين: الأولى أنّه خلّصهم من عذاب واقع عليهم، والثّانية أبعدهم عن آل فرعون فخلّصهم منه نهائيًا.

وفرعون: لقبٌ لكل مَنْ ملك مصر كافراً قبل البطالسة، مثل قيصر لملك الرّوم، وكسرى لملك الفرس، وتُبّع لملك اليمن، والنّجاشي لملك الحبشة[2].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾. أي اذكروا أيضًا حين فررتم من عدوّكم ففرقنا بكم البحر، وسلكتم فيه اثني عشر مسلكًا يابسًا، وذلك أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ أن اضرب بعصاك البحر فضربه، فانفلق ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[3]، فلمّا أدركهم عدوّهم، أطبقنا عليهم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تعاينون غرقهم وهلاكهم، حتّى خلصتم إلى بلاد الشّام، ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوّكم. فاشكروا هذه النّعم التي أنعمت بها على أسلافكم، واتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم على النّبيّ الأميّ محمّد ﷺ.

وقد ورد أنّ هذا اليوم كان يوم عاشوراء[4] فعن ابن عبّاس ﷺ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ"، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»[5].

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) أخرج أحمد في مسنده عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تسبُّوا تُبَّعًا فإنه كان قد أسلم»، وقال المحقق الأرناؤوط في حسن الغيرة، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، رقم الحديث ٢٢٨٨٠ (٥١٩/٣٧)، وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان تُبَّع رجلًا صالحًا" وهو صحيح، رقم الحديث: ٣٦٨١، (٤٨٨/٢)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت. بل روي في كتب السيرة أن أسعد بن كليكرب التبّعي ذكر نبيّنا في شعره، وإنّ تُبّع المذكور في القرآن الكريم هو تُبّع الأوسط، ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٩/١٢)؛ وابن عجيبة في البحر المديد (٢٩١/٥) والألوسي في تقسيمه (١٢٧/١٣)؛ والبغوي في تفسيره (٢٣٣/٧) والقرطبي في تفسيره (١٤٥/١٦) وابن كثير في تفسيره (٢٥٦/٧) وابن حيان في البحر المحيط (٤٠٥/٩) والمنتظم لابن الجوزي (٣٤٠/٢) والسهيلي في الروض الأنف (٨٢/١).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٤) يوم عاشوراء: ١٠محرم ١٤٤٦هـ/ ١٦ تموز؛ ثاني أعظم يوم في السّنة بعد عرفة وهو يوم التّوبة. قال النّبيّ ﷺ عن صيام عاشوراء: «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» رواه مسلم.

(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، كتاب: الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: ٢٠٠٤.

أي واذكروا أيضًا حين واعدنا موسى عليه السلام أن يصوم أربعين ليلةً بأيّامها متواصلة - ذي القعدة وعشر من ذي الحجّة- وهي المذكورة في سورة "الأعراف" في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[1]، وذلك حين طلبتم منه أن يأتيكم بكتاب فيه بيان الأحكام، ثمّ لمّا صامها وأتى إلى مناجاة ربّه كفرتم، واتّخذتم العجل الذي صاغه السّامريّ من الحليّ الذي استعارته نساء بني إسرائيل من القبط، ففرّوا به ظنًّا منهم أنّه حلال، فقال لهم هارون عليه السلام لا يحلّ لكم فطرحوه في حفرة، فصاغ منه السّامريّ صورة العجل، وألقى في جوفه قبضة أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام حين عبر معهم البحر، فجعل يخور، فقال السّامريّ: هذا إلهكم وإله موسى! وفي عبادته ظلم لأنفسكم، ثمّ عفونا عنكم بالتّوبة وقتل النّفس على ما يأتي، لعلّكم تشكرون، فلا تعصوا الله وتكفروا بنعمه، واذكروا أيضًا إذ آتينا موسى الكتاب الذي طلبتم وهو التّوراة، الفرقان الذي فرقنا فيه بين الحقّ والباطل، كي تهتدوا إلى الصّواب فتنجوا من العذاب.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٤﴾.

أي واذكروا يا بني إسرائيل حين قال موسى لقومه لمّا رجع من الطّور ووجدهم قد عبدوا العجل: يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم وبخستموها باتّخاذكم العجل إلهًا، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بارئكم هو المنظف من الدنس والخطايا والرزايا.

ومن معاني ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ هو أن تتبرّؤوا من حولكم وقوّتكم. فالله تعالى خالق حركتك، فما من حركة ولا سكون إلّا بخلق الله تكون. فتتبرّأ من حولك وقوّتك، وتلجأ إلى حوله وقوّته سبحانه، فتقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وهذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل، وذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾[2].

روى ابن جرير بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لمّا رجع موسى عليه السلام إلى قومه وأحرق العجل وذراه في اليمّ، أمر قومه بأمر ربّه تعالى أن يقتلوا أنفسهم، وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضًا، لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد، فانجلت الظّلمة عندهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل، كلّ من قتل منهم كانت له توبة، وكلّ من بقي كانت له توبة. فتاب الله عليهم وعفا عنهم.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. أنّ الله تعالى يبتلي عباده لحكم عالية، فيها الخير والشرّ، ليعلّمهم أسماءه الجلاليّة والجماليّة، فلا يجوز الاعتراض على الله تعالى فيما يبتلي به عباده، فمظهر تجلّيات أسماء الله الجلاليّة شرّ - فتن وبلاء - والمطلوب الصّبر، ومظهر تجلّيات أسماء الله الجماليّة خير- فتن وابتلاء بالنّعم - والمطلوب الشّكر وأن لا ينسب العبد الفضل لنفسه بل لله وحده الذي وهبه هذه النّعم. ومن أهمّ الحكم التّعرّف إلى أسماء الله الجلاليّة والجماليّة والالتجاء اليه بالدّعاء والتّضرع.

٢. قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»[١].

٣. الحكمة في إرسال الرّسل وإنزال الكتب، هداية النّاس إلى معرفة ربّهم، وطريقة التّقرب إليه ليعبدوه ويسعدوا في الدّارين.

٤. شتّان بين أمّة وأمّة؛ فأُمّة موسى عليه السلام غاب عنهم نبيُّهم أربعين يومًا فاتّخذوا العِجْلَ معبودَهم، ورضوا بأن يكون لهم بمثل العجل معبودًا، فقالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[٢] وأمّة سيّدنا محمّد المصطفى ﷺ مضى من وقت بعثة نبيّهم أعوامًا كثيرة فلو سمعوا واحدًا يذكر في وصف معبودهم أو نبيّهم ما يوجب تشبيهًا أو استهزاءً لما أبْقَوْا على حشاشتهم ولو كان في ذلك ذهاب أرواحهم.

٥. من يتّقِ الله يجعل له فرقانًا أي نورًا يفرّق به بين الحقّ والباطل: وفرقان هذه الأمّة الذي اخْتَصُّوا به نورٌ في قلوبهم، به يفرقون بين الحقّ والباطل، قال النّبيّ ﷺ لوابصة: «استفتِ قلبَكَ»[٣]. وقال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»[٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٥] وذلك الفرقان ميراث ما قدّموه من الإحسان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٦]

٦. قوله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: فالتّوبة بقتل النّفوس إلا أنّ بني إسرائيل كان لهم قتل أنفسهم جهرًا، وهذه الأمّة توبتهم بقتل أنفسهم في أنفسهم سرًا - أي قتل هوى النّفس - فأوّل قَدَمٍ في القصد إلى الله الخروجُ عن النّفس. وقتل النّفس في الحقيقة التبرّي عن حوْلِها وقوّتها أو شهود شيءٍ منها، وردّ دعواها إليها، وتشويش تدبيرها عليها، وتسليم الأمور إلى الحقّ سبحانه بجملتها، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها، وانمحاء آثار البشريّة عنها، فأمّا بقاء الرّسوم والهياكل (أي الأجسام) فلا خطرَ له ولا عبرةَ به.

س أين أصبح بنو إسرائيل الآن؟

ج سكن بنو إسرائيل مصر وتكاثروا، ثمّ مرت القرون العديدة والأزمنة المديدة، ولكنّ الفراعنة استعبدوا بني

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، كتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: من مناقب أهل رسول الله ﷺ، حديث رقم:٤٧١٦، الحديث صحيح الإسناد.
(٢) سورة طه، الآية: ٨٨.
(٣) رواه أحمد في مسنده، عن عثمان عن وابصة، مسند: الشاميين، مسند: حديث وابصة ابن معبد الأسديّ، حديث رقم: ١٨٠٠٦.
(٤) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر، حديث رقم: ٣١٢٧.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

إسرائيل، واستغلّوهم أيّما استغلال، إلى أن جاء موسى عليه السلام، نبيّ الله ورسوله، من بني إسرائيل، فأوحى الله إليه بالتّوحيد والإسلام ومعه التّوراة. فجاء إلى فرعون، وأمره باتّباع الهدى والدّخول في الإسلام، وطلب منه أمرين اثنين:

أولًا: أن يؤمن بالله الواحد الأحد.

ثانيًا: أن يسمح لبني إسرائيل بمغادرة مصر، بعد أن استعبدوهم واستغلوهم واستحيوا نساءهم وقتّلوا أبناءهم لقرون مضت.

ولكنّ فرعون رفض الأمر كلّه، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل من مصر في وقت معلوم، ويتجاوزوا البحر هربًا من فرعون وجنوده؛ فقامت بعض نساء بني إسرائيل بالاتّفاق مع أزواجهنّ باستعارة حليّ بعض سيداتهنّ الفراعنة، بحجة أنّ لديهنّ حفل زفاف. ثمّ خرجوا مع موسى عليه السلام وهو لا يدري ما فعلن. فلمّا وصل موسى عليه السلام البحر، وفرعون وجنوده من خلفه، ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق طريقًا يبسًا، واجتاز موسى عليه السلام مع بني إسرائيل البحر. فلحقه فرعون وجنوده فأطبق عليهم البحر، وكلّه بإمداد الله سبحانه، فغرق فرعون وجنوده وكانوا أُلوفًا. ولكنّ فرعون لم يُسلم قبل وفاته، وقال كلمته مُتحسّرًا لا مؤمنًا، ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] فلم يذكر لسانه لفظ الجلالة ولم يقبل الله توبته عند مشاهدة العذاب، وقد وصلت روحه إلى الغرغرة. لذلك قال الله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، وكان قد ادّعى أنّه ربّهم الأعلى ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[3]، فنجّاه تعالى ببدنه منطرحًا على السّاحل، ليكون آيةً وعبرة لكلّ من سوّلت له نفسه ادعاء الرّبوبيّة أو الكفر بدين الله.

بعد أن جاوز بنو إسرائيل البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، لم تستطع طائفة من بني إسرائيل - ولعلّهم الذين أخذوا الحُليّ - أن يتخلّوا عن فكرة الوثنيّة التي أُلِفُوها في مصر، ولم يستطيعوا أن ينسخوا من أذهانهم فكرة تجسّد الآلهة، وقد لبثوا مئات السّنين يشاهدون المصريّين وهم يعتقدون بالآلهة المجسّدة ويقدّسونها، فمرّوا على قوم جعلوا لأنفسهم أصنامًا يعبدونها، فقالت هذه الطّائفة لموسى عليه السلام لمَ لا تجعل لربّنا صنمًا كهذا نعبده، كما ذكر تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4]، ويبدو أنّ هذه الطّائفة لم تستوعب معنى تنزيه الله تعالى، وأنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنّه لا يشبه شيئًا من خلقه. فأنّبهم موسى عليه السلام وأنكر عليهم عظيم جهلهم، وأخبرهم أنّ حال هؤلاء القوم الهلاك والخسارة. وكان موسى عليه السلام قد وعد بني إسرائيل بأن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فوعده تعالى لميقاته في تمام ثلاثين ليلة، ثمّ أتمّها في أربعين، فأنزل موسى عليه السلام بني إسرائيل منزلًا، وقال: أطيعوا هارون؛ فإنّي قد استخلفته عليكم، وإني ذاهب لميقات ربّي، فلمّا رأى قوم موسى أنّه لم يرجع إليهم في الأجل، ساءهم ذلك، فعبدوا العجل الذي اتّخذه السّامري من حليّهم، وفتنهم به، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[5].

عجز هارون عليه السلام عن ردّهم عمّا افتتنوا به، ولمّا عاد موسى ومعه الألواح، وجد قومه يعبدون العجل، ويزعمون أنّه إلههم فأخذه الغضب والأسف للكفر الذي رأى، وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه هارون يعاتبه ويلومه.

ثمّ عاتب موسى عليه السلام السّامريّ، فأجابه: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[6] فأقبل موسى على العجل فحرّقه وذراه في اليمّ، ونادى في قومه مصحّحًا عقيدتهم:

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠.
(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الأعراف، الآيات: ١٣٨- ١٤٠.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٨.
(٦) سورة طه، الآية: ٩٦.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[١].

عاقب موسى عليه السلام السّامريّ بالطّرد والتّشرّد فقال: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾[٢]، ولكنّ الله تعالى عاقب بني إسرائيل لعبادتهم العجل، وأمرهم أن يتوبوا فيقتلوا أنفسهم، فاجتمعوا لذلك وجعل بعضهم يقتل بعضًا، حتّى مات منهم خلق كثير، فتاب الله عليهم.

س كيف نشأ الدِّين اليهودي؟

ج كما هو معلوم أنّ دين سيدنا موسى عليه السلام ودين جميع الأنبياء هو الإسلام.

عندما رجع سيدنا موسى عليه السلام من جبل الطّور وجد بني إسرائيل قد انقسموا إلى قسمين ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ :

قسمٌ عبد العجل من دون الله، وقسمٌ بقي على توحيد الله تعالى- دين الإسلام- وهو دين موسى وهارون.

وكانت التّوبة عند بني إسرائيل تستوجبُ القتل، فقاتلهم موسى عليه السلام، فمنهم من تاب إلى الله توبةً نصوحًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣] فهؤلاء تابوا وندموا على ما فعلوا من عبادة العجل. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤]. ومنهم من بقي على حبّ العجل، فأظهر الإيمان وأبطن الكفر والنّفاق، وهؤلاء هم اليهود، قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٥].

كما كان في عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فالمنافقون هم الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، يصلّون مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وإذا خلوا إلى أنفسهم عادوا إلى كفرهم. وهكذا كان اليهود في زمن موسى عليه السلام، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر إذا خلوا إلى أنفسهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[٦].

فالقرآن الكريم عندما يتكلّم عن بني إسرائيل يُثني عليهم، ويُخاطبهم بكلام ليّن. أمّا عندما يتكلّم عن الذين اتّخذوا العجل - اليهود- فيخاطبهم بكلام فيه لعن وتقريع شديد اللّهجة.

من أسماء الله الحسنى التوّاب

شرح اسم الله التوّاب: قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

معنى توبة الله على العبد: أن يعود عليه بألطافه، وييسّره لتوبته.

وقيل: توبة الله على العبد: خَلْق التوبة له.

التّعلّق باسم الله التوّاب: أن تسأل الله التّوبة منه على الدّوام.

(١) سورة طه، الآية: ٩٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٩٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٣.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

من أسماء الله الحسنى : الرّحيم

الرَّحيم مُقتضاه الإمداد، وهو بعد الإيجاد. أي أنَّ الإيجاد من اسمه تعالى الرَّحمن، أمّا الإمداد فمن اسمه تعالى الرَّحيم، ومن أعلى معاني الإمداد الهداية. كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- اكتب قائمة بالنّوازل والمخاطر التي حفظك الله منها وحفظ مجتمعك وكفاكم إيّاها، وراجعها كلّ فترة لتَشكر الله عليها؛ فإنّ الله يحبّ الشّاكرين، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.
- ذكر نفسك بأنّ شرط توبة عصاة بني إسرائيل كان أن يقتلوا أنفسهم، وأمّا عصاة أمّة سيّدنا محمّد ﷺ فخفّف الله تعالى عنهم بالاقتصار على طلب الاستغفار والتّوبة الصّادقة ومخالفة الهوى، ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴿٥٤﴾﴾.
- احمد الله تعالى على أن جعلك من أمّة سيّدنا محمّد ﷺ فهذا من أعظم النّعم. واتّخذ لنفسك وردًا يوميًّا تُكثر فيه من الصّلاة والسّلام عليه- أقلّه ثلاث مائة مرة في اليوم- ليديم الله تعالى عليك هذه النّعمة ويزيدك من فضله.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله التّواب:

التّوبة من وعلى كلّ حال، ولو تكرّر وقوعك في الذّنب فاستغفر واعزم على ألّا تعود، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[3]

التّخلّق باسم الله الرّحيم:

- أن تسعى جهدَك في قضاء حوائجِ النّاسِ، وكلّ ذي روحٍ من غير سؤالهم، ومن غير أن يطلبوا مِنك، لأنك أنت من يشعر بحاجتهم؛ فأَحَبُّ العِبادِ إلى الله أنفَعُهُم لِعِبادِ الله تعالى.
- أن تعطف على المتخاصمين وتُصلح بينهم، وأن ترحم الجاهلين فتبيّنَ لهم طريق النّجاح. فلا ترى محتاجًا إلا وترقّ لحاله وتواسيه بمالك، ولا ترى عاصيًا إلا وتلاطفه بالنّصيحة وتسأل له التوبة، ولا ترى يائسًا من الرّحمن إلا طمأنته، فيصبح لسانك لسان رحمة، وأخلاقك أخلاق رحمة، ومعاملتك معاملة رحمة.
- أخبرنا رسول الله ﷺ في حديثه عن معنى الرّحمة بِكلّ مَعاني الإعجاز العلميّ والنّفسيّ فقال: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[1]، ولو طبّق المسلمون هذا الحديث، لعاشوا أجمل معاني الحياة. فنحن لسنا بحاجة إلّا إلى التّراحم فيما بيننا، ولو فعلنا ذلك فلن يبقى بيننا فقير أو محتاج لمساعدة أو عطف واهتمام، فنكون كالقلب الواحد والجسد الواحد.

التّوجيهات:

- كلّما اشتدّ ظلم طاغية اقترب زوال ملكه، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البحر فَأَنجَيْنَاكُمْ وأغرقنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.
- لا تيأس من كثرة معاصيك، فإن كان الله سبحانه يغفر الشّرك إذا تاب العبد منه -وهو أكبر المعاصي- فما عليك إلّا أن تُقبل على الله سبحانه بالتّوبة الصّادقة، ﴿ثُمَّ اتخذتم العِجْلَ مِن بعدِهِ وَأَنتُمْ ظالمون ﴿٥١﴾ ثم عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

في السّيرة والشّمائل

حدّثنا رسول الله ﷺ عن هذين الصّنفين من النّاس، الكافرين بالنّعمة، والشّاكرين لها، في قصّة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا للهِ عز وجل أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، - أَوْ قَالَ: البَقَرُ- هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ -، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[2].

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن النّعمان بن بشير، كتاب: البر الصّلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٦٤.

في السّلوك

الإشارة: من صبر في الله على بلاء أعدائه عوَّضه الله صحبة أوليائه، وأتاح له جميل عطائه، فهؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضّرّ من فرعون وقومه فجعل منهم أنبياءهم، وجعلهم ملوكًا، وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين. ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾: قيل نعمة عظيمة وقيل محنة شديدة. وفي الحقيقة ما كان من الله في الظّاهر- محنةً- فهو في الحقيقة لمن عرفه - نعمة ومِنَّة.

الإشارة: لكلّ زمان فراعنة وجبابرة يقطعون النّاس عن السير إلى الله والدّخول إلى حضرة الله، ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]،قال تعالى للذين تخلّصوا منهم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بها حيث أنجيتكم من فراعنة زمانكم، يسومونكم سوء العذاب، والبقاء في غمّ الحجاب، والانقطاع عن الأحباب، يقتلون ما ربّيتم من اليقين في قلوبكم والمعرفة في أسراركم، ويحيون فيكم شهواتكم وحظوظكم، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[2].

الإشارة: يقال إنّ موسى عليه السلام سلَّم أمّته إلى أخيه، فقال: أُخلفني في قومي، وحين رجع وجدهم وقعوا في الفتنة، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم توكَّل على الله فلم يُشِرْ على أحدٍ في أمر الأمّة، ولسان حاله يقول: الرفيق الأعلى، فانظر كيف تولّى الحقّ رعاية أمّته في حفظ التّوحيد عليهم.

الإشارة: ما زالت الأشياخ والأولياء الأقدمون ينتحلون طريق سيّدنا موسى عليه السلام في استعمال هذه الأربعين، ينفردون فيها إلى مولاهم، مؤانسة ومناجاة بما يُعرف بالخلوة، بدأها موسى عليه السلام في الأوّل من ذي القعدة وكان ختامها يوم عرفة ويليه يوم النّحر وهذا أحد وجوه تعظيم العشر الأوائل من ذي الحجّة، وفي ذلك يقول الشّاعر:

وَصِرْتُ مُوسَى زَمَانِي ... مُذْ صَارَ بَعْضِيَ كُلِّي
صَارَتْ جِبَالِيَ دَكًّا ... مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي

الإشارة: ما قاله سيّدنا موسى عليه السلام لقومه، يُقال مثله لمن عبد هواه، وعكف على متابعة دنياه، يا من بخس نفسه بإرخاء العنان في متابعة هواها، حتّى حرمها من مشاهدة جمال مولاها، تُب إلى ربّك وانتبه من غفلتك، واقتل نفسك بمخالفة هواها، فلعلّها تحيا بمشاهدة مولاها، فما دامت النّفس موجودة، وحظوظها لديها مشهودة، وآمالها ممدودة، كيف تطمع أن تدخل حضرة الله، وتتمتّع بشهود جماله وسناه؟!

إِنْ تُرِدْ وَصْلَنَا فَمَوْتُكَ شَرْطٌ ... لَا يَنَالُ الوِصَالَ مَنْ فيهِ فَضْلَهْ

وقال أيضًا في القتل الاعتباري للنّفس والهوى:

أَقْتُلُونِي يَا ثُقَاتِي ... إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي
وَحَيَاتِي فِي مَمَاتِي ... وَمَمَاتِي فِي حَيَاتِي
أَنَا عِنْدِي: مَحْوُ ذَاتِي ... مِن أَجَلِّ المُكْرَمَاتِ
وَبَقَائِي فِي صِفَاتِي ... مِنْ قَبِيحِ السَّيِّئَاتِ

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

العجل عبارة عن الأنا: فمن عبد العجل يعبد حقيقةً الأنا ويمجّدها، وهذا ما يدعو إليه الدّجاجلة في زماننا من ترك الأخلاق والقيم- الإيثار والعطاء - واتّباع الهوى، أي افعل ما تهوى دونما اعتبار للأخلاق والقيَم. ومَثَلُ متّبع الهوى كمثل الكلب، فهو يحسد ويكره بني جنسه، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ...﴾[1]. فأصبحت تربية الكلاب موضةً في عصرنا ودليلًا من الأدلّة على أنّنا اقتربنا من آخرِ الزّمان، حيث يصاحب الإنسانُ كلبَه أكثرَ من صاحبه، وأصبح الإنسان خادمًا له، متأثّراً بتربيته فازدادت أنانيّته.

في الأدعية والأذكار

عن عائشة ﵂ قالت: صلى رسول الله الضحى ثم قال هذا الدعاء مئة مرّة: «ربِّ اغفر لي وتب عليّ، إنّك أنت التواب الرّحيم»

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥- ١٧٦.